طبيعة أخلاق القوة في دولة الرسول والفكر الغربي الحديث

The Nature of The Ethics of Power in The State of Prohet and Modern Western thought

إعداد

أ.م.د. عصام كمال المصرى
الاستاذ المساعد بقسم الفلسفة
كلية الآداب – جامعه دمنهور

أ.م.د رشا محمود رجب
الاستاذ المساعد بقسم الفلسفة
كلية الآداب – جامعه دمنهور

أ.هاجر محمد عبد المجيد قلقيلة
باحثة ماجستير
كلية الآداب – جامعه دمنهور

دورية الانسانيات. كلية الآداب. جامعة دمنهور
العدد الحادى والستون - يوليو -الجزء الثانى - لسنة 2023

طبيعة أخلاق القوة في دولة الرسول والفكر الغربي الحديث

أ.م.د. عصام كمال المصرى

أ.م.د رشا محمود رجب

أ.هاجر محمد عبد المجيد قلقيلة

الملخص

إنّ الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأنّ محمّدًا صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله، وبعد؛ يعيش العالم اليوم أزمات لا تنتهي، سواء كانت هذه الأزمات أو المشكلات بين الفرد وذاته أو بين الأفراد وبعضهم البعض، بل وتتعدى لأكثر من ذلك لأزمات بين الدول وبعضها، وذلك إن دل على شيء فإنه يدل على انخفاض المنحني الأخلاقي أو بتعبير أخر انهيار القيم الأخلاقية.

وفيما يري الدكتور مصطفي حلمي: أن سلوك الإنسان يأتي وفق ما يعتقد به من عقائد وفلسفات، فإنه عندما نحيط بالمذاهب الأخلاقية السائدة حينها ندرك إلى أي مدي تستطيع الحضارة الغربية الاستمرار والبقاء أو تقويم وعلاج نفسها، وهل تستطيع الأخلاق النفعية والبرجماتية والماركسية والوجودية في استمرارها واسهامها في بقاء الحضارة الغربية وتقدمها. ويشك الدكتور مصطفي حلمي في ذلك معللاً بما تعرضت له الأخلاق والمبادئ الأخلاقية عبر تاريخها في أروبا وأمريكا، فقد أخذت الحضارة الغربية تبدل أخلاقياتها وسلوكياتها كما لو كانت تبدل أزياءها عبر مختلف العصور. وعلى العكس من ذلك تأتي الأخلاق الإسلامية فقد ظلت القيم الأخلاقية الإسلامية باقية وثابتة ولم تتغير أبد، ولكن من تغير هم المسلمين فأصبح من الواجب عليهم أن يعدلوا سلوكياتهم وفقاً للأخلاق الإسلامية السامية([1]).

في هذا البحث المتواضع أرادت الباحثة أن تقف عند سؤال الأخلاق في الفكر الإسلامي في دولة الرسول صلى الله عليه وسلم وعند الخلفاء الراشدين من بعده وعند مفكري الإسلام، في مقابل الفكري الغربي الحديث وأراء مفكرية ومذاهبه، من أجل إلقاء الضوء على مضمون المحتوي الفكري للعقلية الإسلامية والغربية، ولكي تتضح الصورة جلية فقد لجأت الباحثة للمقارنة المختصرة بين الفكر الإسلامي والفكر الفلسفي الغربي في العصر الحديث، فكان منهج البحث منهجاً تاريخياً تحليلياً مقارناً

([1])– د/ مصطفي حلمي: الأخلاق بين الفلاسفة وعلماء الإسلام، مرجع سابق، ص 4.

Abstract

Praise be to god, We praise him, We seek his help, and we seek Refuge in God from the Evils of ourselves and our bad deeds. Hewhom God guides will not be misguided, and hw who misleads will not be guided. His servant and his Messenger, and afterP, The world is expriencing crises with eacg other, whether the crises or problems are between the individual and himself, and each other and each other, and that is indicative of something that indicates a decline in the moral curve or in the expression of moral values .

As Dr. Mostafa helmy believes: that human behavior comes in accordance with what he believes in terms of beliefs and philosophies, then when we surround the prevailing moral doctrines at that time, we realize to what extent Western ciilization can continue and survive or correct and heal itself, and can utilitarian, pragmatic, Marxist and existential ethics in its continuation and contribution to the survival and Progress of western civilization. Dr. Mostafa helmy doubts this, explaining what morals and etgical principles have been subjected to throughout their history in Europe and America .

Western civilization has begun to change its morals and behaviors, as if were changing its fashion through different eras. On the contrary, Islamic morals com, as Islamic moral values remained constant and comparative approach.

.In this modest research, the researcher wanted to stop at the guestion of ethics in Islamic thought in the state of the messenger, may God,s prayers and peace be upon him, and the Rightly Guided caliphs afhim, and the thinker of Islam, in contrast to the modern western intellectual, intellectual opinions on the content of the intellectual contnt of the Islamic and Western mentality in order for the picture to be clear, the researcher resorted to a brief comparison between Islamic thought and Western philosopgical thought in the modern era.the research method was a historical,analytical, and comparative approach.

مقدمة

الأخلاق هي أساس رقي الأمم وتقدمها، وأساس ازدهارها، فقد جاءت الرّسالات السّماويّة تحثّ على القيم الأخلاقيّة التي تنظّم علاقة الإنسان بكل ما يحيط به، فالأخلاق تنظّم علاقة الإنسان مع ربه من حيث عبادته وحده لا شريك له، وتنظّم علاقة الإنسان مع نفسه بما يحقّق سعادته، كما أنّها تنظّم علاقة الإنسان مع غيره من حيث تعامله مع الناس. ووصف القران الكريم سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام بالتواضع والرحمة، فقال تعالى: (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ)ال عمران :159.

تستخدم القوة في الفكر الإسلامي لردع الشر والباطل، أما القوة في الفلسفة الغربية فهي الفرعنة والتأله قامت لتخدم الإنسان الأبيض وليس سواه، فهي ليس هدفها خدمة البشرية كلها، بل خدمة لون واحد فقط من البشر، والحقيقة أن عصر النهضة ترك لنا الفكر الميكافيللي الذي كان له تأثير كبير علي الفكر الأخلاقي، فنجده يرى أن الحاكم يهلك إذا كان خيرا، لذلك عليه أن يكون ماكرا كالذئاب، فالغاية عنده تبرر الوسيلة، ولكي يحتفظ الحاكم بمنصبه عليه أن يفعل كل ما بوسعه بكل ما لديه من قوة، فقط القوة، وكان نتيجة لهذا التحرر أن لم يعد هناك احترام للقواعد الأخلاقية القديمة، فمعظم الحكام حصلوا علي مناصبهم بالغدر، وحافظوا عليها بالقوة والوحشية لا بالرحمة والتسامح والمحبة.

هوبذلك ليس غريبا أن نجد روسو يري أنه: من الخير أن يقتل عدد من الناس بين الحين والآخر، وليس غريبا أيضا أن يعطي لوك لكل إنسان حق عقاب من يعتدي علي ذاته أو ممتلكاته حتي بعقوبة الموت، وكذلك يعطي للقادة العسكريين سلطة الموت والحياة علي جنودهم، فالأخطاء الصغيرة لا تعاقب بالغرامات بل بالإيذاء البدني مثل الجلد، وقد اخذ هوبز من الابيقورية اللذة واضاف إليها سيكولوجيا الأنانية، فمبدأه إن لم تكن ذئبا اكلتك الذئاب، فقد اعتبر الانسان ذئبا لأخيه الانسان، والعهد عنده بدون سيف ليس إلا مجرد كلمات، فالأخلاق عنده مبنية علي المنفعة.

أولاً: أخلاق القوة في دولة النبي صلى الله عليه وسلم

أقام الرسول صلى الله عليه وسلم من المسلمين أمة تقوم بكتاب الله عز وجل وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، أمة أخلاق وليست أمة قوة، تعلي من قيمة الانسانية والقيم الأخلاقية الفاضلة التي كانت واقعاً ملموساً في تعاليم الرسول صلى الله عليه وسلم وسلوكياته وجميع أفعاله،كان للعرب في الجاهلية قبل ظهور الإسلام تقاليد معينة وأنماط سلوكية وقيم

أخلاقية خاصة، وما إن جاء الإسلام حتي أبقا على الجيد منها وعدل بعضها وحرم بعضها الذى كان يعبر عن جاهلية وضيق النظر والافق. ومن أهم المبادي الأخلاقية التي قام عليها الإسلام وخاصة في شئون إدارة الحكم، هو مبدأ العدل، فقد كان عدلاً مثالياً، يقوم بين جميع الناس، فلا تؤاثر فيه قرابة أو جنس أو ديانة أو جاه أو سلطان ولا بغض ولا حب، فلا يتوقف العدل بين الناس في الإسلام على أي اعتبارات([2]).

جمع الإسلام بين الناحية المادية والناحية الروحية، ولم يقوم على الناحية الروحية فقط كما في المسيحية، فلم يدعوا فقط الى الرحمة والزهد وما إلى ذلك، وكذلك لم يدعوا إلى اعتزال الدنيا والرهبنة، فالإسلام سعي لتهذيب غرائز الإنسان وشهواته([3]).فالناس جميعاً متساوين أمام الله عز وجل، والعمل الصالح والتقوى هو الذى يفرق ويميز بين إنسان وأخر عند الله، قال تعالى: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ"([4]). وعلى العكس من اليهودية، فقد ربط الإسلام جميع البشر برابطة واحدة، وهى الإنسانية والأخوة العالمية، فهم جميعاً لهم خالق واحد، وجميع البشر عباد لله، ولا وجود في الإسلام لتحيز لأي فئة من البشر، بخلاف اليهودية التي قالت بأنهم شعب الله المختار([5])، والمسيحية التي ميزت بني إسرائيل عن باقي البشر.

سعي الرسول صلى الله عليه وسلم للقضاء على الفقر والمساواة بين مختلف فئات الأمة "وقد أقر الرسول عليه الصلاة والسلام مبدأ المشاركة بين الانصار والمهاجرين، وقال في ذلك: من كان معه فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له، ومن كان له فضل من زاد فليعد به على من لا زاد له" وليس من المسلمين من بات شبعاناً وجاره جائع([6]).يقول الدكتور مصطفي عبده: "وعليه يمكن لنا أن نقرر بأن الأخلاق الإنسانية جمعت في أخلاق الرسول صلى الله عليه وسلم خاتم الانبياء والمرسلين وهو نموذج للناس كافة لأن رسالته للناس كافة وكان خلقه القرآن معنى ذلك أن أخلاقه نموذج يتبع، دائم ما دام القرآن، وهو

([2])– يحي عبد الله: مكارم الأخلاق في القرآن الكريم، ط 4، مطبوعات النادي الأدبي، حائل 1417هـ، ص233 – 238.

([3]) –عبد الحميد متولي: أزمة الفكر السياسي الإسلامي في العصر الحديث، دار المعارف، الاسكندرية 1963، ص 136.

([4])– الحجرات: 13.

([5])– حورية مجاهد: الفكر السياسي من أفلاطون إلى محمد عبده، ص 203.

([6])–فاروق النبهان: مبادئ الثقافة الإسلامية، دار البحوث العلمية، الكويت 1974، ص391 .

المنهج السائد والسائر إلى يوم القيامة"([7]).وللمسلم أن يفخر بعقيدته السمحة وبالرسول صلى الله عليه وسلم، فقد أقر الإسلام بحاجات الإنسان الروحية والجسدية والعقلية وأشبع هذه الحاجات ووفق بينها، فحقق صورة فريدة من نوعها ولا نظير لها في الإنسانية للإنسان المسلم، هذبت الإنسان وجعلته إنسان فاضلاً، فلم تحلق به في عالم المثل ولم تنحط به إلي مرتبة الحيوان([8]).

ثانياً: أخلاق القوة في الفكر الغربي الحديث

وفي العصر الحديث يظهر التحايل بواسطة المذهب النفعي للعودة لمذهب اللذة بعد تنظيمها وتعديلها، فيكون المذهب النفعي هو مجرد تصحيح عقلي لفلسفة اللذة([9]). فقد استعاض مذهب المنفعة عن مفهوم اللذة والسعادة، بمفهوم آخر يتسع ليشمل خير البشرية عوضاً عن الاقتصار على خير الفرد فقط، واعتبر أصحاب هذا المذهب أن مصلحة الفرد تتوقف على مصلحة المجموع، فاطلق بنتام وجون ستيوارت ميل على هذا المذهب "أخلاق المنفعة العامة"([10]).

ويتضح أن أصحاب مذهب المنفعة قد لجأوا إلى فكرة المنفعة والسعادة لحسهم على الأخلاقيات والمبادئ التي لا يكفي لإلزامهم بها الواجب الأخلاقي، فاصبح مقياسهم للسلوك هو المنفعة "([11]) وبذلك يكون المذهب النفعي "أخلاقية تقاس بالأثار أو العواقب، لا بالدوافع أو البواعث، ولا يمكن التحقق مما هو لذيذ أو نافع أو ممتع أو مؤلم إلا بالتجربة؛ ولذا صح القول بأن هذا المذهب مرتبط دائماً بالنظرية التجريبية في أصل المعرفة ومصدرها من الناحية الخلقية"([12]).

ولما كان المذهب النفعي يتسم بالطابع التجريبي، فقد جعل بنتام الخير يتمثل في الأوراق المالية والقطع النقدية. وأقام الأخلاق كلها على حساب اللذات، ورأى أنه المهم هو مقدار اللذات وكمها، وليس كما قال أبيقور بنوعها وكيفها، وعليه فإن الحكمة تعني تنظيم الحياة بحيث تفوق اللذات الآلام، قدر الإمكان([13]).إن السعي وراء وسائل المنفعة، مع تجاهل قيم الغايات، الذى سعي إليه بنتام خاصة والنفعين بصفة عامة، جعل الحياة الأخلاقية تتحول

([7])– د/مصطفي عبده: فلسفة الأخلاق، مكتبة مدبولي، القاهرة 1999، ص 43.

([8])– د/عبدالغني عبود: العقيدة الإسلامية والأيديولوجيات المعاصرة، ط2،دار الفكر العربي،1980،ص127.

([9])– زكريا إبراهيم: مشكلات فلسفية،6، المشكلة الخلقية، مكتبة مصر، الفجالة 1969، 138.

([10])–نفسه، ص148.

([11])– محمد كمال إبراهيم جعفر: في الفلسفة والأخلاق، ص 215، 216.

([12])– نفسه، ص217 إلى 219.

([13])– J. Bentham: "principles of morals & Legislation. "ch.4.p.iv

للسعي وراء وسائل المنفعة فقط، ذلك ما جعل الناس في العصر الحديث عبيداً للذات والمنفعة([14]).والمنفعة عند ميل تعني تحصيل اللذة بالإضافة للخلو من الألم، فأخلاقية الأفعال عنده تتوقف على نتائج الأفعال لا بواعثها، واعتبر ميل أن الجزاءات عنصر مشجع لفعل الخير وترك الشر([15]).

اتفق جون ميل مع غيره من فلاسفة السعادة وبنتام، في أن نتائج الأفعال هي التي تفرق بين الصواب الخلقي والخطأ الخلقي، كما أنهما يتوقفان على مدى قدرة هذه النتائج على إشباع رغباتنا، بحيث تحقق السعادة لنا وللآخرين التي نهدف إليها([16]). إن هذا المذهب وفلاسفته عاجزون عن إدراك الروابط والعلاقات الإنسانية البعيدة عن المنفعة، ولا يعرفون سوء المادية في تحقيق أهدافهم ورغباتهم الشخصية، فهناك من الأفعال ما يحكمها القيم المعنوية لا النفعية الحسية، والتي ترتقي بالإنسان وأخلاقه إلى أعلى المراتب، وتشفي الإنسان من إيثار منفعته الخاصة وأنانيته، التي تتمثل في أمر الله عز وجل بأن يتعاون الناس على البر والتقوى، وهنا يطرح الدكتور مصطفي حلمي سؤلاً: أين هذا من مظاهر الانهيار الأخلاقي في المجتمع الأمريكي الذى أدار ظهره لأخلاقيات العفة، والطهارة، والفضيلة، والوفاء، والإخلاص؟([17]).

من أهم إنجازات القرن السابع عشر هو نظرية العقد الاجتماعي، ونظرية العقد الاجتماعي في أصلها تتعلق بنشأة الدولة، وتقوم هذه النظرية على افتراض أن: وجود الأفراد قبل وجود الدولة، وقد أنشأ الأفراد الدولة بواسطة عقد اجتماعي يعمل على خدمة مصالحهم([18]).

وبشكل عام يمكن القول أن أهم مفكري العقد الاجتماعي هوبز، ولوك، وروسو، قد بدأوا بنفس النظرية إلا أنهم قد وصلوا إلى نتائج مختلفة، فهوبز قد رأى في حالة الطبيعة الأولى أنها حالة سيئة وحشية وهمجية، مما جعله يؤكد على تنازل الأفراد المطلق عن جميع حقوقهم الطبيعية للحاكم عن طريق العقد الاجتماعي، وأن يكون الحاكم هو صاحب السيادة المطلقة في الدولة([19]).

([14])– د/زكريا إبراهيم: المشكلة الخلقية، ص168.

([15])– مصطفي حلمي: الأخلاق بين الفلاسفة وعلماء الإسلام، ص63.

([16])– د/زكريا إبراهيم: مشكلات فلسفية 6 "المشكلة الخلقية"، ص151.

([17])– مصطفي حلمي: الأخلاق بين الفلاسفة وعلماء الإسلام، ص70.

([18])– حورية مجاهد: الفكر السياسي من أفلاطون إلى محمد عبده، ص393.

([19])– نفسه، ص394.

وبالنسبة للوك فقد رأى في حالة الطبيعة أنها كانت حالة شبه اجتماعية ومنظمة بقدر ما، يخرج الأفراد من هذه الحالة بتنازلهم عن بعض من حقوقهم اللازمة لتنظيم شئونهم من خلال العقد الاجتماعي، وعليه فقد أكد لوك على نظام الحكم البرلماني بجانب استمرارية السيادة للشعب، في حين تعتبر نظرية روسو وسط بين نظرية هوبز ونظرية لوك، فقد كانت بدايته تشبه لوك غير أنه انتهي نهاية تشبه هوبز، فحالة الطبيعة عنده تتكون من مرحلتين الأولى نظرته لها متفائلة، أما الثانية فتشبه نظرة هوبز، وأن الأفراد قد تعاقدوا للخروج من المرحلة الثانية لحالة الطبيعة للعودة للمرحلة الأولى منها، فيتم ذلك بتنازل الأفراد المطلق للإرادة العامة، ويقصد بالإرادة العامة الجماعة ككل، أي رأى الأغلبية، فتكون السيادة في العقد الاجتماعي عند هوبز للإرادة العامة([20]).

ويرى هوبز أن العقد الاجتماعي الصحيح يحتاج بالضرورة إلى قوة عليا تضمن له بقاءه، وتضمن احترام وتنفيذ الأفراد المشاركين في العقد لبنوده، وبدون هذه القوة لن يكون لهذا العقد أي معني واقعي فيصبح مجرد كلمات فارغة لا فائدة منها، وهذه القوة التي يريدها هوبز تتمثل في الدولة "العملاق العظيم" أو التنين. فيري أنه بدون السيف تصبح العقود مجرد كلمات لا قيمة لها، وأن الكلمات وحدها لا تستطيع ردع الأفراد وطموحهم وغضبهم وطمعهم وانفعالاتهم، لا تستطيع فعل ذلك إلا إذا اقترنت بالقوة التي تؤيدها والتي بدورها تبعث في نفوس الرعايا الخوف منها([21]). فالقوة تعني له كل شيء، وغيابها يعني له ضياع كل شيء.

ومن أراء لوك التي تثير الدهشة، ما يراه في معالجة الأخطاء العسكرية حتى ولو كانت بسيطة "وأن يكن للقادة العسكريين سلطة الحياة والموت على جنودهم، فليس لديهم سلطة أخذ المال. ويترتب على ذلك، أنه في أي جيش، من الخطأ معاقبة الخروق الصغيرة للانضباط بالغرامات، ولكن من المسموح به معاقبتهم بالإيذاء البدني، مثل الجلد..." فالسلطة العليا لا يمكن لها أن تأخذ أي جزء من ملكية أي شخص إلا برضاه([22]). ولا يوجد معايير مطلقة عند نيتشه، فالخير هو فقط ما يحقق رغبات الإرادة ويساعد على إنجاحها، وبذلك تكون الأخلاق نسبية بحيث تكون في وقتاً ما صادقة وصحيحة وقد تصبح

([20])- حورية مجاهد: الفكر السياسي من أفلاطون إلى محمد عبده، ص. 394، 395.

([21]) -نفسه، ص409.

([22])- برتراند رسل: تاريخ الفلسفة الغربية، الكتاب الثالث، الفلسفة الحديثة، ص210

في وقتاً آخر زائفة وخاطئة، إلا أنه يعتبر فلسفته حقيقة مطلقة، وكذلك إرادة القوة هي صحيحة وخير بصور مطلقة وباستمرار([23]).

كان نيتشه يمجد الحرب؛ لأنه يرى فيها أنها تبعث القوة في الإنسان كما توجهه إلى الجمال والواجب. ويعتبر أن الحق الأول هو القوة الحربية التي تعتبر أصل الرق، وأن الحرب للدولة ضرورية كضرورة الرق للمجتمع([24]). "إن أخلاق نيتشه ليست أخلاق التسامح الذاتي بالمعني العادي، فهو يؤمن بنظام أسبرطة، وبالقدرة على الاحتمال ومعاناة الألم من أجل غايات هامة. وهو يعجب بقوة الإرادة فوق جميع الأشياء. وهو يقول: "أن أختبر قوة ارادة، تبعا لمقدار المقاومة التي يمكنها أن تقدمه ولكمية الألم والعذاب التي يمكنها احتمالها، ومعرفتها كيف تدبر كل ذلك إلى صالحها، وأنا لا أشير إلى شر الوجود وألمه بإصبع اللوم، بل أعلل نفسى بالأمل في أن تغدو الحياة يوماً ما أكثر شراً وأكثر امتلاء بالمعاناة مما كانت عليه في أي يوم" فهو يرى التعاطف ضعفاً يجب مغالبته([25]).

يتضح أن نيتشه يتخذ الحروب وسيلة لا غني عنها لتنشئة رجال أقوياء، ولكن أية تطور ينشده نيتشه الذى يقوم على الحروب؟ ألا يمكن تنشئة رجال أقوياء بوسيلة أخرى غير الحروب؟ التي تنشر الفساد والدمار وتحرم الأفراد أبسط حقوقهم. وكأنه بذلك يريد أكثر الرجال فساداً وبطشاً بالضعفاء والفقراء الذين يمثل وجودهم عائق للإنسان الأعلى، ولا حاجة –في رأى نيتشه– لوجود مثل هذه الصنوف من الناس.

وما فلسفة نيتشه إلا تعبيراً عن صورة نفسه القلقة وتجربته المؤلمة، ولكنه يعرضها كما لو كانت رسالة ووحي؛ ليعلمنا كيف نجد إرادة القوة في أنفسنا، والشبه بينه وبين وجهة النظر السوفسطائية كبير جداً "ولو أن نيتشه دقَّق في تحليله لأدرك جمال الحلم والوداعة، وأنها عبارة عن المضي مع طبيعة الإنسان العاقلة إلى النهاية، بل لأدرك أنهما يتطلبان من القوة أكثر ما ممَّا يبذل في الضعف والقسوة، فإن القسوة والغضب انقياد للغريزة الحيوانية الجامحة، وعلى حين أن كظم الغيظ أصعب من إعلانه وأن الصفح أصعب من الانتقام وبذلك يرى نيتشه في الإنسان حيوان راق، فيطالبه بأخلاق الوثنية التي تقسم البشر إلى قوى وضعيف"([26]).

([23])– وليم كلي رايت: تاريخ الفلسفة الحديثة، ص365، 366.

([24])– يوسف كرم: تاريخ الفلسفة الحديثة، ص432، 434.

([25])– برتراند رسل: تاريخ الفلسفة الغربية، الكتاب الثالث، الفلسفة الحديثة ، ص397، 398.

([26])– يوسف كرم: تاريخ الفلسفة الحديثة، ص437.

الخاتمة

الأخلاق عنصر أساسي به تتقدم الأمم إن صلحت، وبه تتأخر إن فسدت، والأخلاق في العموم هي عبارة عن هيئة راسخة في النفس، التي تصدر عنها الأفعال دون الحاجة للفكر أو التروي، وهذه الهيئة من الممكن أن يصدر عنها أفعال محمودة أو مذمومة، فالأخلاق هي القواعد والأسس التي من خلالها يعرف الفرد الصواب من الخطأ، فهي بمثابة الميزان الذى يفرق بين الخير والشر، وللأخلاق مصادر متعددة مثل الدين والعادات والتقاليد والأسرة والمجتمع والمدرسة والمؤسسات الدينية والوسائل الإعلامية، وكل ذلك يندرج تحت مسمي مؤسسات التنشئة الاجتماعية التي تنفل للأفراد القيم والمبادئ العليا للمجتمع.

وتخاطب الأخلاق النوايا والضمير، لذلك مجال الأخلاق أعم وأوسع من القانون، فالأخلاق هي التي تضمن تنفيذ القانون، بينما يتعامل القانون مع الظاهر من الأفعال، وإذا صلحت الأخلاق فستصلح النوايا وقتها يحقق القانون أهدافه، فالأخلاق فوق القانون والأنظمة؛ لأن الإنسان يفعل الصواب دون الخوف من العقاب.

في الأخلاق الإسلامية تأتي القوة من الأخلاق، فالأخلاق أولاً ثم تليها بعد ذلك القوة، ويتضح ذلك من خلال آيات القوة في القرآن الكريم المدنية منها والمكية، ففي بداية دعوة الإسلام كان الناس بحاجة لتعلم أسس الدين ومبادئه، وتعليم الناس خلق الإسلام القويمة الصحيحة حتي لا يترك مجال للتعسف في استخدام القوة، بينما في العهد المكي، بعد أن رسخت العقيدة في نفوس المسلمين، وتطور حاجة المسلمين للدفاع عن دينهم وأرواحهم ووطنهم، فجاءت الآيات القرآنية لتوضيح معالم القوة المتفقة مع الأخلاق الإسلامية، فلم يكن الهدف من القوة في الإسلام السيطرة على الغير وفرض القوي إراداته على الضعيف.

أما القوة في الفكر الغربي، وخاصة الفكر الغربي الحديث، بتعدد مذاهبه ونظرياته إلا أنها جميعاً تلتقي في نقطة واحدة وهي: أنها سخرت الأخلاق من أجل الوصول إلى القوة، فجعلت منها وسيلة لامتلاك القوة، وهذا يعبر عن المعني اللغوي لكلمة الخلق، أي أنها تحمل الجانبين من الأخلاق: الحسنة والسيئة معاً، وللفرد أن يستعمل أيهما شاء لتحقيق غايته، بالإضافة لذلك يمكنه التظاهر بخلق ما كي يحقق مصلحته الشخصية.

ينظر الفرد للأخر في الأخلاق الإسلامية نظرة تنبع من إنسانيته، فهو إنسان له حقوق وعليه واجبات، وأول هذه الحقوق هي احترامه وعدم التعدي على حريته أو انتقاصها، ذلك هو المجتمع الذى أقامه الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه من بعده، مجتمعاً مبنياً

على الاحترام حتي لمن يخالفه، والذى نحن بحاجة ماسة إليه اليوم، ولتجديد النظر إليه بقلب يعي وعقل يصدق ويطبق.

المصادر والمراجع

1- برتراند رسل: تاريخ الفلسفة الغربية، الكتاب الثالث، الفلسفة الحديثة، ترجمة/محمد فتحي الشنيطي، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1977.

2- زكريا إبراهيم: مشكلات فلسفية،6، المشكلة الخلقية، مكتبة مصر، الفجالة 1969،

3- حورية مجاهد: الفكر السياسي من أفلاطون إلى محمد عبده، ، ط9 ، مكتبة 485 ،2019.

4-عبد الحميد متولي: أزمة الفكر السياسي الإسلامي في العصر الحديث، دار المعارف، الاسكندرية 1963،

5- د/عبدالغني عبود: العقيدة الإسلامية والأيديولوجيات المعاصرة، ط2،دار الفكر العربي،1980

6-محمد فاروق النبهان: مبادئ الثقافة الإسلامية، دار البحوث العلمية، الكويت .1974

7- محمد كمال إبراهيم جعفر: في الفلسفة والأخلاق، دار الكتب الجامعية، 1968.

8- د/ مصطفي حلمي: الأخلاق بين الفلاسفة وعلماء الإسلام، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، .2004

9- د/مصطفي عبده: فلسفة الأخلاق، مكتبة مدبولي، القاهرة 1999.

10- وليم كلي رايت: تاريخ الفلسفة الحديثة، ، ترجمة/محمود سيد أحمد، تقديم ومراجعة/إمام عبدالفتاح إمام، طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، المجلس الأعلى للثقافة .2001

11- يحي عبد الله: مكارم الأخلاق في القرآن الكريم، ط 4، مطبوعات النادي الأدبي، حائل 1417هـ.

-12J. Bentham: "principles of morals & Legislation. "ch.4.